۱۶۶۴۱

مجله	الازهر
تاریخ نشر	شوال ۱۳۹۲
شماره	۸ سال ۴۴
شماره مسلسل	
محلّ نشر	مصر
زبان	عربی
نویسنده	ابوشهبه
تعداد صفحات	۷۳۸ و ۷۲۵ - ۷۱۹
موضوع	لکل نبی معجزة -- والقرآن معجزة المعجزات
سرفصلها	
کیفیّت	
ملاحظات	

من هدى السنة :

لكل نبي معجزة .. والقرآن معجزة المعجزات

للدكتور محمد أبو شهبة

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما بسندهما عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: « وما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

تخريج الحديث : رواه الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب فضائل القرآن - باب كيف نزل الوحى وأول مانزل - وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب بعثت بجوامع الكلم مع الشك فى بعض الألفاظ وهو قوله : « ما مثله أومن أو آمن عليه البشر ... » ورواه مسلم فى كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ورواه النسائى فى التفسير ، وفضائل القرآن .

ما يتعلق بالسند : روى البخارى الحديث فى الموضع الأول عن شيخه عبد الله بن يوسف قال : حدثنا الليث قال : حدثنا سعيد المقبرى ... الخ .

ورواه فى الموضع الثانى عن شيخه عبد العزيز بن عبد الله : قال : حدثنا الليث عن سعيد يعنى المقبرى عن أبيه ... الخ ، ورواه مسلم عن شيخه قتيبة بن سعيد قال : حدثنا ليث عن سعيد ... الخ ، وقد روى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة ، وسمع الكثير عن أبى هريرة من غير وساطة أبيه ووقع الأمران فى الصحيحين ، وهو يدل على تثبت سعيد وتحريه .

« الشرح والبيان »

« ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ... » .

المراد بالأنبياء الذين كلفوا بتبليغ شرائع إلى الخلق سواء أكانت رسالاتهم خاصة أم عامة ، وهى رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى رواية مسلم « ما من الأنبياء من نبى . . » ، فمن زائدة لتأكيد الاستغراق والشمول لأن النكرة إذا وقعت فى سياق النفى تعم فجاءت « من » فزادتها عموما ، و « نبى » مبتدأ أى ما نبى كائن من الأنبياء.

« إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » .

جملة أعطى خبر المبتدأ و « ما » اسم موصول وهى المفعول الثانى لأعطى والمفعول الأول صار بعد البناء للمجهول نائب فاعل ، ومثله مبتدأ وجملة آمن . . خبره والجملة من المبتدأ والخبر صلة الموصول ، و « الآيات » جمع آية والمراد بها المعجزة ، وقد وردت فى استعمالات القرآن الكريم بمعنى المعجزة. ففى الكتاب الكريم : « وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى »(١) ، أى آية الآيات ومعجزة المعجزات وهو القرآن . وفى الكتاب أيضا : « وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون »(٢) . فالمراد بالآية المعجزة .

« ما مثله آمن عليه البشر »

المثل يطلق ويراد به نفس الشىء وعينه ، ويطلق ويراد به مساويه ومشابهه ، ولا يشترط أن تكون المشابهة والمماثلة تامة ، بل قد تتحقق بوجه من الوجوه ، وهو كاف فى تحقيق المشابهة أى مشابهة ما . ويكون المعنى ما هو آمن عليه البشر ، أو ما مثله ولو بوجه ما آمن عليه البشر .

« آمن » معظم الروايات فى الصحيح جاءت بلفظ آمن أى صدق لأن الإيمان فى اللغة : هو التصديق والإذعان . وفى رواية البخارى فى « كتاب الاعتصام » « ما مثله أومن أو آمن عليه البشر » . « أو » للشك من الراوى ، أى اللفظين قاله النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا من تثبت الرواة ، وشدة تحريهم فى الرواية .

أما « أومن » فهو بضم الهمزة ، وسكون الواو ، وكسر الميم من الأمن ، وأما الثانية فهى بمد الهمزة ، وفتح الميم من الإيمان ، وعلى هذه جاءت معظم الروايات كما ذكرت آنفا

و « عليه » على بمعنى اللام أى صدق لأجله البشر ، وإنما آثر التعبير بعلى لتضمنها معنى الغلبة والقهر ، أى يؤمنون

(١) طه : ١٣٣ (٢) الأنعام : ٣٧

بذلك مغلوبا عليهم بحيث لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم .

والمعنى : أن كل نبي من الأنبياء أعطاه الله من المعجزات الشيء الذي من صفته أنه إذا شوهد اضطر المشـــاهد له إلا الإيمان به وذلك إذا كان منصفا ، وإلا فقد تكون المعجزة قوية في إعجازها ، ملزمة في دلالتها ، ولكن قد يجحد بها مشاهدها ، ويعاند ، وذلك كما قال تعالى: « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين »[1]

والمعجزة : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى صراحة أو ضمنا يجريه الله سبحانه على يد مدعى النبوة : فإذا قام إنسان وادعى النبوة ، وقال : الدليل على صدقي أن يجرى الله سبحانه على يدى ما يخالف المألوف من عادته ، ثم يتحدى الناس زرافات ووحدانا أن يأتوا بمثل ما أتى به ، وفيهم الكثيرون ممن هم على شاكلته ، بل ومن هم أشهر منه وأكثر ممارسة لما جاء به ، ثم لم يكن منهم إلا العجز ، وعدم الاستطاعة ـ فلا شك أن هذا دليل قوى ، وبرهان ساطع على صدقه ، وأن ما جاء به من عند الله تبارك وتعالى .

والمعجزة في دلالتها على صدق النبي قائمة مقام قول الله سبحانه فيما لو أسمعنا كلامه « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » فمتى ظهرت المعجزة على يد إنسان وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقا لمن ظهرت على يده ، لأن من المحال أن يؤيده الله وهو كاذب ، إذ تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب ، والكذب محال على الله سبحانه وتعالى .

معجزات الأنبياء ملائمة لأزمانها :

وقد شاء الله تبارك وتعالى أن تكون معجزات الأنبياء ملائمة لما اشتهر في أزمانهم حتى إذا ما عجز الناس عن الإتيان بمثلها كان ذلك أكبر شاهد على صدق من ظهرت على يديه ، ولا سيما أنها تظهر على يد من لم يعرف بالتبريز فيما اشتهر في زمنه .

ألا ترى أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لما أرسل إلى قـــوم اشتهروا بالسحر والطلاسم ، وبعض العلوم الخفية أعطاه الله بعض آياته مناسبة وملائمة

(١) النمل : ١٤ .

لما اشتهر فى زمنه، فكانت آيته الكبرى هى العصا ، تكون فى يده عصا جامدة لاحس فيها ، فيلقيها فإذا هى حية تسعى تلتهم ما أمامها .

ولذلك لما حشر فرعون السحرة بحبالهم وعصيهم حتى خيل إلى الرائى من سحرهم أنها تسعى ، وألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون - كان أول من آمن بالله هم السحرة لأنهم علموا علم اليقين أن عصا موسى عليه السلام ليست من السحر فى شىء؛ لأن أدرى الناس بالشىء هم أهله، وأيقنوا أن ذلك لن يكون إلا من فعل القهار الذى لا يغالب ، اقرأ قول الله فى سورة طه : « قالوا يا موسى إما أن تلقى ، وإما أن نكون أول من ألقى . قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . فأوجس فى نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى . فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى [1] » .

فلم يجد فرعون - كما هو شأن المغلوب المكابرة - بدا من أن يريهم بأنه كبيرهم الذى علمهم السحر ، وتوعدهم بتقطيع أيديهم ، وأرجلهم من خلاف ، وتصليبهم فى جذوع النخل ، فلم ينل منهم التهديد ، ولا الوعيد لأنهم آمنوا عن يقين فقالوا كما قال الله تبارك وتعالى : « لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا : إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى [1] » .

وكذلك أعطى اليد فكانت يده آدماء تميل إلى السمرة فيضعها تحت إبطه فإذا هى تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى. [2]

وسيدنا عيسى عليه السلام لما بعث فى وقت كثر فيه الاشتغال بالطب وعلومه وإلى قوم برعوا فيه كانت آياته مناسبة لما اشتهر فى عصره - فكان يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا

(١) سورة طه - ٦٥ - ٧٠

(١) ٧٢ - ٧٣

(٢) أعطى الله سيدنا موسى تسع آيات قال تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات » الإسراء الآية ١٠١ وقال فى سورة النمل : =

بإذن الله ، ويبرىء الأكمه[1] والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، قال عز شأنه وتقدست صفاته : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون ، وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين[2] ».

مع أن عيسى عليه السلام لم يكن ممن عرفوا بالنبوغ في الطب ولا ممن يمارسون هذه الصناعة ، فظهور مثل هذه الخوارق على يديه دليل على أنها من صنع الله ، وأنه صادق فيما ادعاه .

وخاتم النبيين وسيد البشر رسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه لما بعث في وقت اكتمل فيه العقل البشري ، وبلغت فيه البشرية سن الرشد واختير من قوم عرفوا بتملك زمام الفصاحة والبلاغة ، والتصرف في فنون القول ، وضروبه ، حتى كان غاية الشريف منهم أن يكون شاعرا مفلقا ، أو خطيبا مصقعا كانت آيته الكبرى قرآنا يتلى بلغ أقصى درجات الفصاحة والبلاغة مع الإصابة في القول ، والحكمة في التشريع والصدق في المعاني ، والنبل في المقاصد ، والسمو في الأخلاق والآداب .

« وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي » .

وحيا أي كلاما معجزا ، حكيما أوحى إليه به من ربه وحيا جليا على لسان جبريل عليه السلام ليس لجبريل ولا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه حرف وإنما هو

= « وأدخل يدك في جيبك - فتحة الثوب من صدر العنق - تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه ... » ، الآية ١٢ . وهذه الآيات هي (١) العصا (٢) واليد (٣) والجراد (٤) والقمل (٥) والضفادع (٦) والدم (٧) والطوفان (٨) والسنون أي الجدب والقحط (٩) ونقص الثمرات . والعلماء وإن اتفقوا على العدة إلا أن بعضهم يضع بعض الآيات مكان البعض الآخر كفلق البحر فإن بعضهم عده بدل « نقص الثمرات » على اعتبار أن السنين ، ونقص الثمرات شيء واحد انظر تفسير ابن كثير عند تفسير آية الإسراء

(١) الأكمه الذي ولد أعمى .

(٢) آل عمران : ٤٨ ، ٤٩ .

من كلام رب العالمين « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » (١) .

المراد به أنه أوتى القرآن معجزة عظمى وآياته باقية على وجه الدهر ، لا تفنى آياته ، ولا تنقضى عجائبه ، وقد كانت معجزات الأنبياء السابقين حسية تنقضى بانقضاء أزمانهم فهى لمن شاهدها أما معجزة نبينا الكبرى فكانت معنوية فحسب ولذلك سر .

(١) ذلك أن رسالات الأنبياء السابقين كانت لبعض الناس ولزمان مؤقت محدد فهى محدودة بحدود الزمان والمكان ، خلا رسالة نبينا محمد فهى للناس كافة ، ومستمرة إلى يوم القيامة قال سبحانه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (٢) » « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (٣) . « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » (٤) .

وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم ، وغيرهما « وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

٢ — وأيضا فقد جاءت الرسالة المحمدية فى وقت بلغت فيه البشرية الكمال العقلى كما ذكرنا ، فاقتضت الحكمة الإلهية أن تكون آيته الكبرى معنوية باقية ما بقى إنسان ذو عقل وفكر على وجه الأرض .

والحصر المفهوم من كلمة « إنما » فى قوله صلى الله عليه وسلم : (وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى) ليس حقيقيا وإنما هو ادعائى لأن القرآن هو معجزة المعجزات ، وآية الآيات ، فكأن المعجزات الحسية الأخرى لا تذكر بجانب القرآن الكريم .

وإذا كان الكلام سيق هذا المساق ، وخرج هذا المخرج فليس لأحد أن ينكر ما عدا القرآن العظيم من المعجزات الحسية التى ثبتت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد ثبتت له صلى الله عليه وسلم من المعجزات الحسية مثل ما ثبت لإخوانه الأنبياء بل وأكثر مما ثبت لهم ، منها ما ثبت بالقرآن الكريم المتواتر كالإسراء

(١) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥ .
(٢) الأنبياء : ١٠٧ . (٣) سبأ : ٢٨ .
(٤) الأعراف : ١٥٨ .

تصريعا ، والمعراج تلويحا ، وانشقاق القمر ، ومنها ماثبت بالأحاديث المتواترة والصحيحة كنبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، والبركة فى القليل حتى يغنى غناء الكثير كالطعام ، والماء ونحوهما وبحسبى فى هذا المقام أن أنقل نصين عن إمامين كبيرين ،

١ — أحدهما عن الإمام الكبير الشافعى — رحمه الله — نقل البيهقى عنه أنه قال : « ما أعطى الله نبيا شيئا إلا وأعطى محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو أكثر منه ، فقيل له ، أعطى عيسى بن مريم إحياء الموتى ، فقال : حنين الجذع أبلغ ؛ لأن حياة الخشبة أبلغ من إحياء الميت ! ! ولو قيل : كان لموسى فلق البحر عارضناه بفلق القمر ! وذلك أعجب لأنه آية سماوية وإن سئلنا عن انفجار الماء من الحجر ؟ عارضناه بانفجار الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، لأن خروج الماء من الحجر معتاد ، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب ، ولو سئلنا عن تسخير الرياح لسليمان ! ! عارضناه بالمعراج »[1].

وهكذا لو نهجنا منهج الإمام الكبير الشافعى لما عجزنا عن أن نجد لكل معجزة لنبى سابق مثلا لها أو أبلغ منها لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعسى أن تكون لى عودة لهذا الموضوع الجليل.

٢ — ثانيهما عن الإمام الحافظ ابن حجر — رحمه الله — قال فى الفتح : « وأما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام ، وانشقاق القمر ، ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدى به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحد ، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شىء كثير ، كما تقطع بوجود جود « حاتم » وشجاعة « على » وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد ، مع أن كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ، وانتشر ، ورواه العدد الكثير ، والجم الغفير ، وأفاد الكثير من القطع عند أهل العلم بالآثار ، والعناية بالسير ، والأخبار وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه المرتبة ، لعدم عنايتهم بذلك ، بل ادعى مدع أن غالب هذه

(البقية على ص ٧٣٨)

(١) مناقب الشافعى رضى الله عنه ص ٣٨ .

الف ـ ٩ ـ ٣

١٦٦٤١

(بقية المنشور على ص ٧٢٥)

الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظرى لم يكن مستبعدا .

« فارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

رتب هذا الكلام على ما تقدم من كون معجزته الكبرى القرآن وهى مستمرة ومتجددة إلى يوم القيامة ينتفع بهذه المعجزة من غاب ، ومن حضر ، ومن وجد فى زمانه صلى الله عليه وسلم ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة ؛ فمن ثم حسن ترتيب الرجاوة المذكورة على ذلك وقد تحققت هذه الرجاوة ، فإنه أكثر الأنبياء تابعا له ، ومقتديا به ، فلله الحمد على ما أنعم ووفق ؟

د . محمد محمد أبو شهبة